

إشارات إلى شعائر جنائزية ومعتقدات دينية في نقوش سريانية قديمة

السريانية واحدة من اللغات الجزرية التي تمتد اصولها الى الجزيرة العربية والمعروفة بالتسمية الشائعة (اللغات السامية). نسبة الى احد ابناء نوح الوارد ذكره في التوراة (سفر التكوين 10: 1، 21-22).

تعد السريانية اللهجة المسيحية الرئيسية للارامية، وترجع الارامية في اصولها التاريخية الى الاراميين الذين ظهروا في تاريخ الشرق القديم في نهاية الالف الثاني قبل الميلاد ويمكن القول هو ان مكان سكنهم الاول قد يكون الصحراء السورية - العربية مثل غالبية الاقوام التي نزحت من الجزيرة العربية باتجاه بلاد ما بين النهرين وسوريا².

يظهر مصطلح (أرام) كأسم مكان في منطقة اعالي الفرات منذ فترة مبكرة من القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد في نقش للملك الاكدي نرام-سين (2255-2291) بينما يظهر ايضا كأسم علم لشخص في نصوص اكدية من القرن الثامن عشر قبل الميلاد وكذلك في نقوش اوغاريتية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد³. يبقى الامر مشكوكا فيه ما اذا كانت هذه التسمية لها علاقة مباشرة بالاراميين الذين لعبوا دورا هاما لحقبة زمنية تقدر باربعة قرون 700-1150 قبل الميلاد في حوليات الملوك الاشوريين والكتاب المقدس، وفي كلا المصدرين يُصَوَّر الاراميون ومملكاتهم على انهم اعداء مرعبون⁴. الاراميون

1. المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس.

2. دوبنت سومير، الاراميون، باريس، 1948، ترجمة البيرابونا في مجلة سومر، العدد

19 (1963)، ص. 96-97؛

Malamat (A.), "The Aramaeans", in Wiseman (D.-J.), (ed) *Peoples of Old Testament Times*, Oxford 1975, p. 134.

3. انظر :

Malamat, *op. cit.*, p. 134.

4. انظر :

كمجموعة بشرية محددة ومعروفة جاء ذكرهم في النصوص الاشورية خلال فترة حكم تجلاث بلاصر الاول (1116-1076) حيث يشار الى اعداء آشور بالتسمية الثنائية احلامو- الاراميين⁵.

اما المصطلح الجغرافي Mat Arimi ويعني تحديدا (ارض ارام)، يظهر للمرة الاولى في حوليات الملك الاشوري اشور - بل - كلا (1073-1056)⁶، وهذا المصطلح يشمل على ما يبدو المنطقة الى الشرق من الفرات وصولا الى نهر الخابور شرق سوريا الحديثة اذ يطلق على تلك المنطقة في الكتاب المقدس (ارام نهريم) اي بمعنى (ارام ما بين النهرين)⁷.

في الادب التوراتي نجد عددا من الاشارات الى كلمة (ارام) منها ما يدل على مكان ومنها ما يستعمل كأسم علم لشخص هو الابن الخامس لسام ابن نوح في سفر التكوين 10: 22-23 ويأتي كذلك اسما لشعب في سفر صموئيل الثاني 8: 5-6⁸.

من الآثار الحضارية المميزة التي تركها الاراميون بين الشعوب التي اختلطوا معها هي اللغة الارامية والخط الارامي. حيث اكتشفت نقوش ارامية في سوريا تعود الى اوائل القرن التاسع والثامن قبل الميلاد ورغم ان الاراميين قد تبناوا الابجدية الفينيقية الا انهم فيما بعد طوروا لهم خطا خاصا بهم، وفي بعض الاحيان استعملوا الخط المسماري والخط الديموطيقي⁹. اصبحت اللغة الارامية اللغة الرسمية التي استعملها الاشوريون في شؤونهم الادارية، كما ولعبت الارامية درا هاما كلغة دبلوماسية في الامبراطورية البابلية. وعندما

Brock (S.-P.) and Taylor (D.-G.-K), "The Ancient Aramaic Heritage", *The Hidden Pearl: The Syrian Orthodox Church and its Ancient Aramaic Heritage*, Vol. I. Rome, 2001, p. 7.

5. سومير، المصدر السابق، ص. 99-100.

6. انظر :

Malamat, *op. cit.*, p. 137.

7. انظر :

Brock and Taylor, Vol. I, p. 7.

8. انظر :

Brown (F.) and Others, *Hebrew and English Lexicon of The Old Testament*, Oxford 1976, p. 74.

9. انظر :

Malamat, *op. cit.*, p. 147.

احتل الملك الفارسي كورش بلاد بابل في سنة 539 قبل الميلاد سرعان ما اضحت اللغة الارامية هي اللغة الرسمية للامبراطورية الفارسية¹⁰ وفي اخر الامر انتشرت الارامية من اسيا الصغرى الى الهند وافغانستان وشمال الجزيرة العربية ومصر¹¹. في مصر استعملها اليهود المقيمون في جزيرة الفيلة جنوب مصر في تدوين مجموعة كبيرة من الوثائق المكتوبة على البردي من القرن الخامس قبل الميلاد¹² ومما تجدر الاشارة اليه هو ان العبرية لم يكن لها اثر عند اليهود هناك¹³.

ومما يمكن قوله بهذا الصدد ان الارامية الرسمية في ظل الفترة الفارسية الاخمينية (331-539 ق. م.) قد طغت على غيرها من اللغات المحلية كما هي الحالة مع اللغة الانكليزية في كل بلدان الرابطة البريطانية (الكمونولث)¹⁴. بعد غزو الاسكندر الكبير للشرق، تراجعت الارامية وفقدت مرتبتها الرفيعة التي تمتعت بها في ظل الامبراطورية الفارسية¹⁵ فاصبحت بعدئذ لغة محكية لاغلبية السكان على اختلاف لهجاتها في الوقت الذي اصبحت فيه اليونانية اللغة الرسمية للدولة في عدد من الاقاليم المركزية¹⁶.

ان ضعف الامبراطورية السلوقية ومجيء الفرثيين (126 ق. م. - 227 ب. م.) قد مهد الطريق امام الارامية للاستفادة من حيوتها ودورها الحضاري مرة اخرى في الاراضي الواقعة وسط الشرق الادنى¹⁷ حيث ان سكان العرب يشكلون نسبة كبيرة من الممالك الصحراوية الصغيرة في الفترة الزمنية الواقعة

10. سومير، المصدر السابق، ص. 134-138.

11. انظر :

Malamat, *op. cit.*, p. 147.

12. انظر :

Brock and Taylor, Vol. I, p.p. 15, 99.

13. انظر :

Ibid., 98-99.

14. سومير، المصدر السابق، ص. 138.

15. سومير، المصدر السابق، ص. 143.

16. انظر :

Brock and Taylor, Vol. I, p. 125.

17. انظر :

Ibid., p. 130.

من القرن الاول قبل الميلاد الى القرن الثالث الميلادي وجميع هذه الممالك استعملت الارامية بلهجاتها وخطوطها المختلفة التي ورثتها تدريجيا من الارامية الرسمية للامبراطورية الاخمينية¹⁸ ومن هنا نشأت النبطية في البتراء والتدمرية في تدمر والحضرية في الحضر (شمال غرب العراق) اضافة الى السريانية في الرها (جنوب شرق تركيا) وتعرف اليوم ب(اورفا) ويسمىها اليونانيون (أديسا¹⁹). في فلسطين، العبرية كانت لغة مملكة اسرائيل القديمة بيد ان اليهود بعد رجوعهم من الاسر في بابل شرعوا باستعمال الارامية في فلسطين واخذت شيئا فشيئا تحل محل العبرية كلغة محكية، فهجروا اهلها في الكلام واحتفظ بها كلغة مقدسة، لغة الدين والعلم، لغة المهتمين بدراسة الشريعة. وهكذا فقد تضمن الكتاب المقدس اجزاء معينة كتبت بالارامية ويتبين ذلك في سفر عزرا 4: 8-6 : 18 و 7: 12-26 وسفر دانيال 2: 4-7 : 28 وسفر ارميا 10: 11 وكلمتان في سفر التكوين 31: 47.²⁰

وفي عصر المسيح، كانت الارامية شائعة الاستعمال في فلسطين الى جانب العبرية وان بعض النصوص من لفائف البحر الميت واجزاء من التلمود كتبت بالارامية²¹.

اللغة السريانية

ان لهجة الرها هي واحدة من اللهجات الارامية الرئيسية التي تعرف اليوم بالسريانية كان موطنها الرها التي انشأها سلوقس نيقاطور الاول في عام 302 قبل الميلاد، ومنذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وما بعده ظهر فيها

18. انظر :

Drijvers (H.-J.-W.), *Old Syriac (Edesseean) Inscriptions*, Leiden 1972, pp. XI-XII.

19. انظر :

Drijvers (H.-J.-W.), *Cults and Beliefs at Edessa*, Leiden 1980, p. 10 ; Brock and Taylor, *op. cit.*, p. 130-160.

20. انظر :

Brock and Taylor, Vol. I, p. 166.

21. انظر :

Healey (J.-F.), *Aramaic Inscriptions and Documents of the Roman period*, (Oxford : University Press 2009), p. 35.

العرب كقوة بشرية جاؤوا إليها من الصحراء وتمكنوا من فرض سيطرتهم عليها وعلى المناطق المجاورة²² وأقيمت بعدئذ مملكة الرها التي حكمها ملوك من سلالة عربية منذ 132 قبل الميلاد، حيث أن معظم ملوك الرها كانت أسماؤهم أبجر أو معنو وهم في حقيقة الأمر من شيوخ العرب الذين سكنوا المدن²³.

أما عندما نتحدث عن مصطلح (السريانية القديمة) فأنما نقصد به النقوش المكتوبة بالحروف السريانية القديمة المعروفة من الفترة الزمنية التي تغطي القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وتتميزها عدة خصائص لغوية عن السريانية الفصحى أو ما تسمى بـ (السريانية الكلاسيكية) Classical Syriac²⁴ والمرجح أن لغة هذه الكتابات تتمتع بأهمية خاصة لأنها تعد أول مرحلة في تشكيل السريانية الفصحى باعتبارها لهجة آرامية متفرعة من الآرامية الرسمية، حيث تقف "بين الآرامية الرسمية - لغة كبار موظفي الإمبراطورية الأخمينية - وبين السريانية المتأخرة"²⁵.

أثبتت الدراسات المعنية بالنقوش السريانية القديمة أنها وبلا استثناء كتابات وثنية، أي أنها لا تمت إلى المسيحية بصلة، وربما تعتبر الحلقة الموصلة بالأدب المسيحي الذي شكل تراثاً ضخماً للكنيسة الشرقية فيما بعد²⁶ إلا أن الكم الهائل من الأدب السرياني لا يمدنا بالمعلومات الوافية التي تتناول المظاهر الدينية الوثنية في الرها في مطلع العصر المسيحي رغم أن عدد النقوش السريانية يربو على 107 نقوش وهذا العدد يبدو قليلاً إذا ما قورن بالنقوش النبطية (أكثر من 5000) والنقوش التدمرية (حوالي 2832)²⁷.

22. انظر :

Dijkstra (K.), *Life and Loyalty*, Leiden : Brill (E.-J.) 1995, p. 252

23. انظر :

Drijvers (H.-J.-W.) and Healey (J.-F.), *The Old Syriac Inscriptions of Edessa and Osrohoene (Texts, Translations and Commentary)*, *Handbuch der Orientalistik* 1/42, Leiden : Brill (E.-J.) 1999, pp. 35-36.

24. انظر :

Brock and Taylor, Vol. I, p. 154. See also for details Drijvers and Healey, *op. cit.*, pp. 22-34.

25. انظر :

Drijvers, 1980, pp. 20-21.

26. عادل الجادر، اللغة السريانية (قواعد وتطبيق)، بغداد، 1991، ص. 11.

27. انظر :

في عام 1999 قام درايفرز وهيلي بنشر النقوش السريانية القديمة على شكل مجموعات مصنفة حسب مواقع اكتشافها ونوع المادة المكتوب عليها²⁸ بيد ان هناك مجموعة من النقوش غير معروفة المصدر او الاصل وهي اما مواد محفوظة في المتاحف او على هيئة مقتنيات خاصة . ومع ذلك فقد جاء التصنيف على النحو التالي :

- 68 نصا منقوشا على الحجر
- 26 نصا منقوشا بالفيسفساء
- 6 نصوص منقوشة على المعادن والفخار والمسكوكات
- 3 نصوص مكتوبة على الجلد او على ورق نفيس (برشمان)²⁹
- 7 نصوص اكتشفت مؤخرا و لم تنشر بعد بشكل اصولي .

ان الكثير من هذه النقوش فيها اشارات جنائزية واضحة لها علاقة بالعبادات الوثنية للمناطق القريبة من الرها كتدمر والبتراء . فالمضامين الجنائزية المتعلقة بالقبور ترفدنا بشيء عن فكرة الحياة والموت السائدة في مجتمع الرها انذاك، ولعل العنصر الأكثر وضوحا في تصوير هذه الرؤية هو القبر نفسه . حيث كشفت لنا النصوص السريانية مجموعة من المصطلحات التي استعملت كتعبير عن مفهوم القبر ومكان الدفن ويمكن اجمالها بما يلي :

Healey (J.-F.), *The Writing on the Wall: Law in Aramaic Epigraphy, in Poitr Bienkowski and others (eds.) Writing and Ancient Near Eastern Society, Papers in Honour of Alan R. Millards*, New York. London 2005, p. 130.

28. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, pp. 45-252.

29. كتعويض عن ندرة النقوش السريانية، جاءت ثلاث وثائق قانونية طويلة مكتوبة على الجلد تقع كل واحد منها في حوالي 40 سطرا، فالأولى يرمز اليها بالعلامة p1 مؤرخة في 243 ميلادية والثانية p2 مؤرخة في 240 ميلادية والثالثة p3 مؤرخة في 242 ميلادية. اكتشفت الوثيقة p1 في دورا يوروبوس اما p2 و p3 فاكشفت في منطقة وسط الفرات قريبة من دورا يوروبوس في اقليم اوسرونيا ؛

Drijvers and Healey, pp. 232-248.

بيت مشكبا: وتعني في السريانية الفصحى «حجرة النوم»³⁰ يظهر هذا المصطلح في احد النصوص المنقوشة بالفسيفساء والمؤرخة في 194 ميلادية³¹. يرد في الترجمة السريانية البسيطة (بشيتا) بمعنى «حجرة النوم»، رغم ان كلمة (مشكبا) لا تظهر في سياق يشير الى مفهوم جنائزي، بيد انها تعبر بشكل واضح عن مفهوم القبر في احد النقوش الارامية اليهودية المؤرخة في سنة 430 بعد الميلاد حيث ياتي في اول النص: «هذا مكان الراحة»³² ويمكن ايضا رصد كلمة (مشكبا) مقترنة بمعنى القبر في النصوص الفينيقية والعبرية والنبطية ودير عللا³³. مهما يكن من امر فان تعبير (بيت مشكبا) يمكن ان يضاف الى قائمة التعابير المجازية للقبور والاموات بقصد اصفاء طابع الاستحسان واللطافة لمفهوم القبر³⁴ بعيدا عن رهبة الموت.

بيت مشريا³⁵: تعني في السريانية الفصحى (مسكن، مكان الراحة)، وهنا نرى مرة اخرى ان العبارة هنا جاءت بالمعنى المجازي لكلمة القبر. لم يقتصر هذا الاستعمال على السريانية القديمة فحسب بل شمل ايضا النقوش الجنائزية النبطية والتدمرية

30. انظر:

Healey (J.-F.), "A New Syriac Mosaic Inscription", *Journal of Semitic Studies*, Vol. 2, Autumn 2006, p. 321

31. انظر:

Pyne Smith (J.) (ed.), *A Compendius Syriac Dictionary*, Oxford 1979, p. 44..

32. انظر:

Ibid., p. 321.

33. انظر:

Hoftijzer (J.) and Jongeling (K.), *Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions*, Hand blick der Orientalistik I/21, Leiden 1995, p. 701.

34. انظر:

Healey, 2006, p. 322.

35. انظر:

Drijvers and Healey *op. cit.*, As. 5:2.

والارامية اليهودية³⁶.
بيت علما³⁷: «بيت الخلود او بيت الابدية»، يقع هذا التعبير لمرات
عديدة في النقوش وخاصة كتابات الفيسفساء واستعمل مجازا
كبدل للفظه القبر في النقوش النبطية والتدمرية³⁸.
بيت قبورا³⁹: معناها الحقيقي "مكان الدفن" ويرد كثيرا في النقوش
السريانية الجنازية كما وترد في النقوش النبطية والتدمرية⁴⁰.
بقبورا⁴¹: هو نفس مصطلح بيت قبورا، الا ان الفارق هو وجود
حرف الباء في اول الكلمة يشير الى مختصر لكلمة بيت،
وهذه الظاهرة اللفظية تلاحظ في النقوش الحضرية والمندائية
واليهودية⁴².
بت طما⁴³: بمعنى "بيت العظام"، اي مكان الذي يدفن فيه الموتى
وتبقى عظامهم فيه فيما بعد. والمصطلح مؤلف من جزأين
الاول: بت، يمثل كلمة (بيت) بحذف حرف الياء وهي ظاهرة
املائية معروفة في النقوش السريانية القديمة⁴⁴ والجزء الثاني

36. انظر :

Ibid., pp. 54-55.

37. انظر :

Ibid., As 7:3 ; Am 2:5,8 (for example).

38. انظر :

Healey (J.-F.), *The Religion of Nabataean*, Leiden : Brill 2001, p. 174.

39. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, As 16:4; As 20:2; As 55:4,6.

40. انظر :

Hoftijzer and Jongeling, *op. cit.*, p. 985.

41. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, As 59:3.

42. انظر :

Ibid., p.152.

43. انظر :

Ibid., As 24:1.

44. انظر :

(طما) "عظام" فهي غير موجودة في السريانية الفصحى لكنها من جانب آخر ترد في النقوش التدمرية والحضرية والآرامية اليهودية بالإضافة إلى الآرامية الرسمية⁴⁵.
كفرا⁴⁶ : تأتي بمعنى "القبر" في النقوش السريانية بيد أنها في السريانية الفصحى لا تحمل هذا المعنى وإنما تعني "القرية"⁴⁷ ومع ذلك فإن ورودها بمعنى "القبر" معروف في النقوش النبطية، ويرجح أن تكون اللفظة (كفرا) في النبطية دخيلة من اللحيانية، ويبدو أنها جاءت إلى السريانية القديمة عبر الاتصال اللغوي بالعربية⁴⁸.
نفشا⁴⁹ : وردت هذه اللفظة مرة واحدة في النقوش السريانية بمعنى "مكان بارز أو ضريح برجى"⁵⁰ حيث أن (نفشا) تستعمل بهذا المعنى أيضا في النقوش النبطية والتدمرية⁵¹.
أوزنا⁵² : كلمة فارسية دخيلة تعني "الحجر المجوف" أو الحجر

Al-Jadir (A.-H.), *A Comparative Study of the Script, Language and Proper Names of the Old Syriac Inscriptions*, University of Wales, Ph. D-Thesis 1983, p. 238.

45. انظر :

Hoftijzer and Jongeling, *op. cit.*, p. 424.

46. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, Bs 2:7.

47. انظر :

Pyne Smith, *op. cit.*, p. 223.

48. انظر :

Healey (F.), 2001, p. 170 ; Drijvers and Healey, *op. cit.*, pp. 196-197.

49. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, BS 2:4, p. 196.

50. انظر :

Segal (J.-B.), *Edessa The Blessed City*, Oxford 1970, p. 23, n. 4 ; 30-31.

51. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, p. 196.

52. انظر :

الذي يصنع به القبر بعد تجويفه في الوقت الذي جاءت بمعنى "حوض" أو "حوض العمودية" في السريانية الفصحى ويرد هذا الاستعمال لوجود شبه بين المعنيين من حيث كون الصخر ممكن ان يعمل منه حوض لشرب الماء منه او ليستعمل كقبر صخري⁵³.

في المائة سنة الاخيرة وجدت في الرها مجموعة من الكتابات السريانية القديمة منقوشة في لوحات فنية مصنوعة من الفسيفساء وقد زينت برسومات لاشخاص صورت بطريقة تميزت بدقة صناعتها وبالوانها المحدودة، ومما يدعو للاسف ان معظمها قد تعرض للتخريب المتعمد او تكسرت واصبحت كسرا صغيرة حتى صار من المتعذر ان تباع في السوق السوداء⁵⁴ وجميع لوحات الفسيفساء ذات الكتابات السريانية المؤرخة تعود الى القرن الثالث الميلادي باستثناء واحدة منها تؤرخ في سنة 194 ميلادية تم نشرها في عام 2006⁵⁵ واللوحات كلها وثنية وليس هناك ما يشير الى عكس ذلك.

في بعض الاضرحة وجدت لوحات من الفسيفساء مرسوم عليها صورة المتوفى واقفا او متكئا وكأنه في وليمة وغالبا ما يكون مع اعضاء اسرته يحيطون به وزوجته بجانبه والاشخاص يلبسون زيا رسميا منمقا وفي بعض الاحيان يكون المتوفى لابسا تاجا او ممسكا بكأس من الخمر بيده وهو جزء من الطقوس الدينية التذكارية على ما يبدو التي تعرض امام الالهة وان مثل هذه المشاهد تلاحظ أيضا في الفن الجنائزي التدمري⁵⁶.

Ibid., As 20:4.

53. انظر :

Al-Jadir (A.-H.), *op. cit.*, p. 294.

54. انظر :

Brock and Taylor, *op. cit.*, Vol. I, p.

55. انظر :

Healey (F.), 2006, pp. 313-25.

56. انظر :

Ross (S.K.), *Roman Edessa*, London and New York 2001, pp. 92-94.

ان اللوحات المصنوعة من الفسيفساء لاريب ان تكون عائدة لعوائل ثرية او نبيلة كما تظهره صورهم المرسومة عليها، اما قبور عامة الناس فلا يكون على هذا المستوى الرفيع من البناء والتصميم وانما هي عبارة عن قبور كهفية تكون مكانا عاديا للدفن.⁵⁷

مما يعرف عن قبور الاغنياء والرموز الاستقرائية في الرها انهم كانوا يشيدون لانفسهم اضرحة ذات ابراج عالية تسمى بالسريانية (نفشا) وتكون بعدة طبقات فيها تجاويف مخصصة لوضع الاموات. كان ينقش على هذه الاضرحة او البيوت الابدية كتابات تلعن من يقلق راحة الميت وغالبا ما كانت تزين بالمنحوتات او الرسوم.⁵⁸

وفي البتراء يلاحظ ايضا ان القبور التي بناها النبطيون تأخذ اشكالا متنوعة في تصاميمها الداخلية والخارجية ولا سيما التصاميم الخارجية الرفيعة التي تعكس الفوارق الاجتماعية بين الناس - كما هو الحال في بعض المقابر في يومنا هذا - . والانباط عندهم نوعان من القبور هما القبور الارضية التي تخصص للدفن والقبور المنحوتة بالصخر، وبلا شك فان النوع الاول هو الارخص وتستخدم من قبل الطبقات الاجتماعية الدنيا، اما القبور المنحوتة في الصخر فهي عادة ما تقتصر على الجماعات الثرية والوجوه الاجتماعية المرموقة الا ان اكثر القبور تطورا هي القبور الملكية.⁵⁹

فالتشابه الحاصل ما بين القبور في الرها والقبور في البتراء انما يعكس الصورة الحضارية المشتركة فيما بينهما.

عندما ننتقل الى العبارات والكلمات المتعلقة بالشعائر الجنازية في النقوش السريانية نراها تنطوي على معان ذات ارتباطات بالحياة الاجتماعية والعلاقات الاسرية السائدة في مجتمع الرها آنذاك فهناك الكثير من النقوش الجنازية يذكر فيها ان القبر عادة ما يكون قد عمله شخص ما بنفسه ولذريته

57. انظر :

Segal, *op. cit.*, p. 28.

58. انظر :

Ibid., p.49.

59. انظر :

Healey, 2001, p. 169.

من بعده منها على سبيل المثال النص التالي :

- 1 - في سنة 513
- 2 - انا سلوك بن
- 3 - مقيمو عملت
- 4 - لنفسي هذا القبر
- 5 - لنفسي ولأبنائي ولذريتي⁶⁰

ان واحدة من اللوحات الفسيفسائية التي بقت بحالة لا بأس بها نوعا ما احتوت على رسوم لستة اشخاص يمثلون افراد اسرة واحدة وكل اسم واحد منهم مكتوب على يمين صورته. جاء في الكتابة على هذه اللوحة ما نصه :

- 1 - انا
- 2 - افثوحا
- 3 - بن جرمو
- 4 - عملت لنفسي
- 5 - بيت الابدية هذا
- 6 - لنفسي ولأبنائي
- 7 - ولذريتي
- 8 - للابد⁶¹

ولوحة فسيفسائية اخرى تعرف ب(مأذبة الاريغة الجنائزية) التي المحنا اليها انفا. جاء في وسط اللوحة رسم لرب الاسرة متكئا على الاريغة محاطا بعدد من افراد اسرته. ان هذا المشهد لا يمثل حالة جنائزية بقدر ما يمثل اسرة سعيدة وهذا ما تعرضه الملامح الفنية للوحة على الرغم من ان النص السرياني عليها يشير بوضوح الى بناء رب اللسرة هذا القبر لنفسه ولزوجته ولأبنائه⁶²

60. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, 16, p.

61. انظر :

Ibid., Am2 ; Brock and Taylor, *op. cit.* ; Vol. I, p. 158.

62. انظر :

ثمة كتابة جنائزية منقوشة تسمى (فسيفساء ابجر) وجدت في إحدى مغارات شمال الرها تصور خمسة اشخاص على هيئة رسومات نصفية كل واحد مكتوب اسمه على جانب صورته. ولا يوجد شك في ان الواهب واباه وامه واخاه مرسومة صورهم مع شخص اخر اسمه (ابجر بن معنو) وصورة هذا الاخير تهيمن على الصور الاخرى بتصدرها اللوحة الفسيفسائية وعلى هذا ينبغي ان يكون شخصا مهما ذا منزلة رفيعة ربما يكون ابجر بن معنو ملك الرها (176-211 ميلادية)⁶³ وقد جاء في الكتابة ما يأتي :

- 1 - انا برسميا بن
- 2 - اشدو عملت لي
- 3 - بيت الابدية هذا
- 4 - لي ولابنائي ولاخي
- 5 - من اجل حياة ابجر
- 6 - سيدي والمحسن الي⁶⁴

ان عمل بيت الابدية - حسب ما جاء في النص - هو من اجل حياة الملك ابجر والقصد من وراء ذلك على الاكثر هو التصريح بالتقدير والتبجيل والاحترام الذي يكنه برسميا الى الملك ابجر بن معنا والقبر نفسه وانه ليس لدفن ابجر فيه⁶⁵ ويقدر ما يتعلق الامر بهذه الكتابة فان من غير المبالغ فيه ان أهميتها التاريخية تفوق كل النصوص السريانية الوثنية لكونها تحمل صورة

Drijvers and Healey, *op. cit.*, p. 181.

63. انظر :

Dijesksstra, *op. cit.*, pp. 256-58.

لناقشة الاشكالية في تحديد هوية ابجر بن معنو انظر ايضا :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, pp. 187-8.

64. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, Am10.

65. انظر :

Dijesksstra, *op. cit.*, p. 258.

الملك ابجر العظيم⁶⁶.

ان اكتشاف عدد من اللوحات الفسيفسائية في الرها والمناطق القريبة منها انما يدل على شيوع صناعة الفسيفساء وازدهارها فيها وعن ذلك يحدثنا سيكال في كتابه (أديسا المدينة المباركة) قائلا : « باستطاعتنا التكلم عن مدرسة رهاوية لصناع الفسيفساء كانوا قد بلغوا درجة لا يستهان بها من الدقة في عملهم ويميزون بعناية بين العيون البنية والرمادية، وبين الشعر الاسود والاشيب، وبراعتهم الفنية ظاهرة في التشكيل الجماعي للأشخاص، وتعكس الصور الفسيفسائية ايضا ذوق الرهاويين للالوان البراقة المتنوعة والتمييز في زيبهم، اما الشخصيات التي يصورونها فتتعم بالراحة والترف على نحو يذكرنا بقوة بصورة التجار الاوربيين في العصور الوسطى ».⁶⁷

احترام الموتى

توضح النقوش السريانية الجنائزية استمرارية تقاليد احترام اماكن الدفن وتفادي العبث بها، وضمن هذا المعنى فان واحدا من النقوش مؤرخ في سنة 73 قبل الميلاد نرى فيه مناشدة صريحة لاستئصال اللعنة على كل شخص يعيث ببقايا الشخص المتوفى، والعابثون بالقبر يندرون بالا تكون لهم ذرية ليواروهم الثرى ولا تجرى لهم الشعائر الجنائزية ومراسيم الدفن المعتادة ولا يحصلون على مكان يدفنون به بعد مماتهم. وقد جاء في ذلك النص ما يلي :

- 6 - من ياتي ويخرب هذا العمل
- 7 - و.... هذه العظام فلا يكون له قبر
- 8 - ولا ابناء يرمون التراب على عينيه
- 9 - يكونون له⁶⁸

66. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, p. 188.

67. انظر : ح. ب. سيعال، الرها المدينة، المباركة، ترجمة يوسف ابراهيم جبرا، حلب، دار الرها للنشر، 1988، ص 44 .

68. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, B 52.

- وفي كتابة نقشية أخرى نرى ان الاله مرلاهي اي « سيد الالهة »⁶⁹
سيلعن كل شخص يحرك عظام المتوفى من القبر او يعبث فيها :
3 - انا اسألك الذي تاتي فيما بعد وتدخل
4 - هنا لا تحرك عظامي من الناورس
5 - و من يحرك عظامي سوف لا تكون له اخرة
6 - و سيلعن من مرلاهي⁷⁰

يستشف من هذا النص اهمية المعتقدات الدينية واللجوء الى الالهة لحماية موتاهم كما ويبين ادراكهم لمفهوم الحياة الاخرى والمراد بها الحياة ما بعد الموت والاعتقاد بالبعث الجسدي للموتى⁷¹
وفي النقوش النبطية الجنائزية تتوسع الصورة وتاخذ ابعادا اخرى حيث نجد ان هناك عقوبات وتهديدات ضد من يحاول القيام بتخريب القبور ولا يكتفى بلعنه من الالهة فحسب وهذا بالتأكيد مرتبط بالافكار السامية التقليدية حول ما يختص بالشعائر ذات الصلة بالدفن واحترام الموتى واهمية ذلك في حياة المجتمع⁷² ولم يقتصر الاهتمام بالاموات والقبور على ما هو موجود في النقوش السريانية والنبطية بل يشمل كذلك النقوش الارامية المتأخرة في تدمر والقدس، حيث اكتسبت تلك النقوش اهمية خاصة في تصوير المشاهد والاحداث ذات العلاقة بالحياة اليومية⁷³. وحينما نتحول الى

69. يعتقد ان الاله مرلاهي المذكور في هذا النقش هو اله القمر (الاله سين) المعبود في الرها. لمزيد من التفاصيل عن هذا الاله في النقوش السريانية، انظر :
Al-Jadir (A.), *op. cit.*, pp. 428-32.

70. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, As 20.

71. انظر :

Segal, *op. cit.*, p. 59.

72. انظر :

Healey, 2001., p. 55.173

73. انظر :

النقوش الفينيقية نلاحظ ان الفينيقيين قد اولوا جثة المتوفى عناية خاصة من حيث كونها "سترحل الى الخلود" وتكون في راحة ابدية والقبر الذي فيه الميت يمثل تذكرة للاحياء على انه مكان البقاء الدائم لمن يرقد فيه ⁷⁴ كما هو معروف عند الشعوب السامية الاخرى.

يعد التعرض للسكينة والراحة الابدية للمتوفى تدنيسا للمقدسات وبسببه تحل اللعنات المروعة على مرتكبي هذا العمل. اي سوف يبقى بدون ذرية وبلا قبر وينساه الناس ⁷⁵

وقد وردت عبارات التهديد والوعيد لمن يقوم بتخريب القبور من اجل سرقة الموجودات فيه من ذهب وفضة وغيرها في نقشين فينيقيين ربما يؤرخان من القرن الخامس قبل الميلاد ⁷⁶ احدهما يعود الى الملك تبنت ملك صيدا والآخر للملك اشمنعزر ابن تبنت وقد جاء في سطور نقش تبنت ما ياتي :

- 3 - ... من يجد هذا القبر
- 4 - لا تفتح الناووس العائد لي ولا ترعجني، لانه لا يوجد معي فضة ولا يوجد معي
- 5 - ذهب
- 6 - لكن اذا تفتح
- 7 - الناووس العائد لي واذا ترعجني سوف لا تكون لك ذرية

Ibid., p. 174.

74. انظر :

Paolo Xella, *Death and the Afterlife in Canaanite and Hebrew Thought*, in Jack M. Sasson (ed.), *civilization of the Ancient Near East*, Vol. III, New York 1995, p. 2066.

75. انظر :

Ibid., p. 2066.

76. ليس هناك اجماع على تحديد تاريخ معين لهذين النقشين، ثمة من يؤرخ نقش تبنت من نهاية القرن الرابع او بداية القرن الثالث قبل الميلاد لكن اكثر الباحثين ينسبون النقش الى القرن الخامس والبعث الاخر يعطي تاريخا اقدم من ذلك اي في القرن السادس. اما نقش اشمنعزر فهناك اختلاف ايضا في وضع تاريخ له ففريق يجعله في بداية القرن الخامس او في مطلع القرن الثالث قبل الميلاد وهناك من يجعله من القرن السادس او حني القرن الرابع انظر :

Yitzhak Avishur, *Phoenician Inscriptions and the Bible*, Tel Aviv 2000, pp. 111-112 ; 123-124.

بين الاحياء تحت الشمس 8 - ولا بيت للراحة⁷⁷.

وبنفس هذا المفهوم يأتي نقش اشمنعزر ليحذر كل من يفتح القبر او يرفعه او ينقله ومن يفعل ذلك فانه سوف لا يكون له قبر او ابن او ذرية كعقاب له على قيامه بما يؤثر على راحة الميت⁷⁸.

الحياة بعد الموت

الاعتقاد او عدم الاعتقاد بالحياة ما بعد الموت والنظرة الى الموت يشكل عام تمثل جانبا اخر من الحياة الدينية، فالفن الجنائزي المرتبط بهذه الافكار كان قد ابدع في تجسيده لتلك المعتقدات⁷⁹ وفي هذا النطاق تعرض لنا ثلاث لوحات من الفسيفساء مع نصوص مكتوبة بالسريانية اكتشفت في مقابر الرها موضوعات ذات علاقة مباشرة تصور الحياة ما بعد الموت.

وقد جاء التعبير عن فكرة الحياة ما بعد الموت بمشاهد مرسومة لطائر الفينيق تارة وأورفيوس تارة اخرى وكلاهما معروفان في الاساطير اليونانية. وهناك لوحتان من هذه اللوحات الثلاثة محاطة بحاشية ذات شكل هندسي متناسق ما يؤيد تأثرهما بطابع الفن اليوناني المميز⁸⁰.

ظهر أرفيوس كعنصر رئيسي في لوحتين من اللوحات الثلاثة متشابهتين من حيث وحدة الموضوع رغم وجود بعض الاختلافات الطفيفة بينهما احدهما مؤرخة في سنة 228 ميلادية وقد جاء فيها :

1 - أرفيوس

2 - في شهر تموز من السنة التاسعة

77. انظر :

Ibid., pp. 114-15.

78. انظر :

Ibid., pp. 134-36.

79. انظر :

Ross, *op. cit.*, p. 96

80. انظر :

Ibid., p. 96.

- 3 – والثلاثين ، انا افتوحا بن
- 4 – برني عملت لنفس بيت الابدية هذا
- 5 – لنفسي ولابنائي

اما اللوحة الثانية التي نشرت مؤخرا⁸¹ فهي مؤرخة في سنة 194 م ويمكننا قراءة النص الاتي الذي كتب عليها :

- 1 – في شهر نيسان سنة خمسمائة
- 2 – وخمس انا ببا بن
- 3 – ببا عملت بيت
- 4 – الراحة هذا لي
- 5 – ولابنائي ولذريتي مبارك
- 6 – من الذي ينظر ويبارك

فوجود أرفيوس في اللوحتين كرمز للفردوس يسحر الحيوانات حوله وهو جالس وقيثارته بيده، يشير الى ان الموسيقى قد لعبت دورا هاما في الديانة الوثنية لمجتمع الرها⁸² كما ويفهم انتشار مذهب أرفيوس في الرها أنه نشأ من جاذبية اسرار الطقوس التي وعدت بالثواب في حياة اخرى خصوصا الشعور بالطمأنينة والامان⁸³ ومهما يكن من امر فان صورة ارفوس على الفسيفساء اصبحت شائعة في الامبراطورية الرومانية واقدام ما رسم على الفسيفساء له يرجع في تأريخه الى منتصف القرن الثاني الميلادي⁸⁴ (وفيما يتصل بالحديث عن المضمون الجنائزي لهاتين اللوحتين فان حضور أرفيوس

81. انظر :

Healey, 2006, pp. 312-313.

82. انظر :

Segal, *op. cit.*, 34

83. انظر :

Ibid., p. 52.

84. انظر :

Healey, 2006, p. 316.

ربما كان رمزا للحياة المريحة بعد الممات في ظل اجواء فردوسية حاملة⁸⁵.
أما اللوحة الفسيفسائية الثالثة فعليها كتابة سريانية قديمة مؤرخة في
235 / 236 م تصور طائر الفينيق (Phoenix) واقفا على عمود حجري
بجانب ضريح. وطائر الفينيق الاسطوري يعتبر رمزا لبعث الجسد من جديد
وتجدد الحياة من بعد الموت⁸⁶ وقد جاء في النص السرياني ما يلي:

- 1 - فيونكس
- 2 - في سنة خمسمائة
- 3 - واربعين وسبع
- 4 - (نصب) برشمش بن
- 5 - برقاصنع بيت الابدية
- 6 - هذا لي ولابنائي الى
- 7 - الابد

ان لوحات أرفيوس وطائر الفينيق تعبر عما يتوقع ان يكون للنفس
البشرية بعد الموت والتي يعتقد انها سترحل الى ما وراء وجود هذا العالم⁸⁷
وكما هو الحال في سائر النقوش السريانية الجنائزية فإن تلك اللوحات
الفسيفسائية صنعت لقبور اصحابها من الوثنيين على الرغم من أن أرفيوس
وفيونكس يظهران في الاداب والاشعار المسيحية والرمزية⁸⁸.

هناك كتابة سريانية على الفسيفساء، غير مؤرخة وربما تكون في
الفترة المبكرة من القرن الثالث الميلادي تظهر لنا مفهوم الحياة ما بعد الموت
ولكن هذه المرة على شكل قصيدة قصيرة وليست رموزا دينية كما لاحظنا
ذلك في لوحات أرفيوس وفيونكس. فكلمات هذا النص تتمثل فيها حكمة
معبرة بطريقة بلاغية رائعة تعكس الترابط الحميمي ما بين افراد الاسرة الواحدة

85. انظر :

Ibid., p. 316.

86. انظر :

Drijvers and Healey, *op. cit.*, p. 177.

87. انظر :

Drijvers, 1980 , p. 192.

88. انظر :

Ibid., p.190

واجدادهم وذرياتهم، وقد ورد في الاسطر الاخيرة من النص ما يأتي: "من يزيل اسي عن ذريته ويندب الاجداد سيحظى بآخرة سعيدة". وهذه القطعة الشعرية على الرغم من قصرها الا انها توحى بتذكرة ثابتة للأفراد الاحياء من الاسرة الذين - كما هو مؤمل - يحافظ على ولائهم لاجدادهم اضافة الى مشاعرهم اتجاه ابنائهم وان فكرة العمل على ازالة الاسي من الذرية فانه يعتبر عملا صالحا، سيحصل صاحبه في النهاية على اخرة طيبة⁸⁹.

من جانب آخر فإن هذه العبارات بما تمتلكه من خصائص هي تعبير عن اسلوب مميز للشعر السامي الجيد والذي اخذ صورة التضاد⁹⁰ بين الكلمتين اح ر ي ت ا ي «الذرية او الابناء» و ق د م ي ت ا ب م ع ن ي «الاحياء او الاسلاف».

أسماء الأعلام الدينية

تكمن اهمية اسماء الاعلام عموما في محتواها اللغوي والتاريخي والديني والاجتماعي. وما يتعلق بدراستنا تحديدا هو الجانب الديني الذي تتضمنه اسماء الاعلام الشخصية الواردة في النقوش السريانية القديمة ورغم عددها المحدود نسبيا مقارنة بالنقوش التدمرية والنقوش النبطية من نفس الفترة الزمنية، الا انها توفر مدخلا مناسباً لفهم المعتقدات والعبادات الدينية التي كانت سائدة في مجتمع الرها خلال القرون الثلاثة الاولى للميلاد. فأسماء الالهة على مختلف اصولها نرى فيها نصيباً لا بأس به في بناء اسماء الاعلام السريانية التي كانت معروفة آنذاك. مما يتوجب دراستها ورصد ما يرد فيها من ملامح دينية وثنية. ومع ذلك فان معنى الاسم المعطى الى المولود الجديد يكشف عن موقف الوالدين اتجاه الالهة وتقديسهم لها واعتقادهم في ان المولود الجديد سيحظى بتنشئة طيبة في ظل حماية الالهة له وعلى هذا الاساس جاء التقليد في منح المواليد الاسماء مقترنة باسماء الالهة تبركا وتزلفا لها.

89. انظر :

Al-Jadir, *op. cit.*, pp. 176-177.

90. انظر :

Segal, *op. cit.*, p. 34.

هناك مجموعة من أسماء الهة ذكرت في النصوص السريانية القديمة وهي مرلاهي⁹¹، سين⁹²، ونحي⁹³. أما أسماء اعلام الاشخاص فقد دخل في تركيب بناء مجموعة كبيرة منها عناصر دينية وثنية ممثلة بأسماء الالهة المعبودة عند سكان الرها في ذلك الوقت ويمكن ادراجها على النحو الاتي⁹⁴:

	اسم الالهة	اسم الشخص
1	ن ح ي	ا ب د ن ح ي، ا م ت ن ح ي، ع ب د ن ح ي، ش د د ن ح ا
2	ع ت ا	ا ب د ع ت ا، ب ر ع ت ا، ش ل م ع ت ا
3	ب ل	ب ل ب ن ا، ع ل ب ل
4	ش م ش	ب ر ش م ش، ع ب د ش م ش، ش م ش ج ر م
5	ا ل ت	ز ي د ل ت، ع ب د ل ت، م ج د ل
6	ن ب و	ب ر ن ي، ب ر ن ب س
7	س م ي ا	ع ب س م ي ا، ب ر س م ي ا
8	ب ع ل ش م ي ن	ب ر ب ع ل ش م ي ن
9	ش ل م ن	ب ر ش ل م ا، ع ب ش ل م ا
10	ا ن	ا ل ك و د، ع ز ل
11	ن ه ر	ب ر ن ه ر

91. مرلاهي يعني «سيد الالهة» وربما هذا الاسم ارتبط بالاله القمر في الرها ويبدو ان هذا ظهر في النقوش السريانية بالقاب متعددة ال ه ا، م ر ل ه ا، و س ي ن ا ل ه ا.

92. جاء ذكر الاله سين في النقوش السريانية المؤرخة في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي. ما يؤكد ان عبادة سين كانت تمارس في شمال بلاد الرافدين في تلك الفترة والاله سين معروف في الديانة السومرية ومركز عبادته الرئيسي هو مدينة أور الشهيرة في جنوب العراق.

93. نحي يعتبر من الالهة العربية المعروفة في الرها والذي يشكل اسمه جزءا في مجموعة من أسماء الاعلام المختلفة.

94. انظر :

Al-Jadir, op. cit., p. 428.

12	اله	د ر ت ل ه ا
13	ا ي ل	م ك ي ل
14	ي ه وا	ي و ح ن ن
15	ع ز ت	م ت ع ز ت
16	د و ش را	(ا) م ت ش ار
17	ع ز ي ز	ع ز ي ز و

وفي ضوء ما تقدم، يمكن التوصل الى النتائج الاتية :

اولا :

ان النقوش السريانية القديمة المكتشفة في الرها والمناطق المجاورة لها خلال القرون الثلاثة الاولى للميلاد جميعها وثنية وليس هناك ما يشير الى علاقتها بالديانة المسيحية .

ثانيا :

ان مجمل عدد النصوص السريانية القديمة يقدر باكثر من مائة نص، وان نسبة كبيرة من تلك النصوص يحمل مضامين جنائزية تعبر عن استمرارية التقاليد المعروفة لدى الاقوام السامية القديمة لاسيما في احترام الموتى وعدم التعرض الى القبور والعبث بها، او الالتجاء الى الالهة طلبا لاستنزال اللعنات على من يحاول تخريبها او نقل العظام منها .

ثالثا :

ان ما تتضمنه النقوش من افكار عن الموت والحياة ما بعد الموت او انبعاث الجسد كان قد مثل احد الواجه الحضارية والدينية المعروفة بين العديد من الاقوام السامية . وقد استعملت بعض الرموز والرسومات الدينية للتعبير عن هذا الغرض مثل طائر الفينيق والاله أرفيوس .

رابعاً :

اعتقد الرهاويون ان المتوفى ستكون له حياة اخرى يعيش فيها براحة دائمة وربما هذا ما اشيراليه بمصطلح (بيت علما)، اي «مكان الخلود» كأحد معاني القبر المستعملة في النصوص السريانية الى جانب المصطلحات الاخرى، على سبيل المثال بيت مشكبا «بيت الراحة الابدية» وبيت مشريا «مسكن الراحة». من جانب اخر فان النقوش السريانية لا توفر لنا معلومات كافية عن الكيفية التي تكون عليها الحياة ما بعد الموت بنظر وتصور المجتمع الرهاوي.

خامساً :

هناك عدد كبير من أسماء الأعلام تتضمن أسماء الهة معروفة لدى سكان الرها بينت توجهاتهم الدينية وما يؤمنون به من معتقدات ويمارسونه من عبادات كما وكشفت عن أسماء الالهة التي كانت لها دور هام في الحياة الدينية في الرها وهذه الالهة تشابه الالهة المعبودة في بلاد الرافدين وسوريا والجزيرة العربية.